التأثيرات الحضارية الصينية على حكم إسرة اليوان المغولية

المـــــقـــــدمـــــــة

يعد قيام الدولة المغولية في الصين والتي عرفت بحكم (إسرة اليوان) بداية من عهد قوبيلاي قاآن (658 – 693ه / 1260 – 1294م)، والتي استمرت لغاية سنة 770ه / 1368م واحداً من أهم الاحداث المفصلية والحاسمة في تاريخ الامبراطورية المغولية اذ عد هذا الحدث تحولاً عميقاً ترك بصماته ليس على تاريخ المغول فحسب، وانما امتدت تأثيراته على التاريخ الاسيوي بشكل عام والتاريخ الصيني بشكل خاص، وكذلك هو الحال بالنسبة لكل البلاد التي كانت تدين بالتبعية والولاء لمركز الامراطورية المغولية.

ومما لا شك فيه ان انتقال مركز حكم الامبراطورية المغولية الى الصين بدلاً من الوطن الأصلي منغوليا كان يمثل إيذاناً ببداية عصر جديد للمغول يختلف بروحه وسماته العامة عن سابقه، وهو عصر يعني نقل المغول لمركز حكمهم من البيئة الصحراوية والرعوية التقليدية التي عاشوا فيها طوال تاريخهم الى بلاد كانت تمثل أعرق مراكز الحضارة والتمدن المعروفة في المعمورة آنذاك، وقد ترتب على ذلك ان وجد الفاتحون أنفسهم في وسط لا يمكنهم فيه مقاومة تأثيراته الحضارية الجارفة، مما أحدث تطوراً عظيماً في نمط حياتهم التقليدية بعد ان غلب على نظامهم العام الطابع الصيني حيث وجدت القيم الحضارية والافكار الصينية طريقها بسرعة هائلة الى قلب حياتهم وتقاليدهم، وقد شكل هذا الحدث البداية لأن يتحول هؤلاء المغول البدو شيئاً فشيئاً الى حياة الاستقرار في الصين ومن ثم الاندماج في حضارة هذا البلد وتقاليده، وقد أدى بهم ذلك في نهاية المطاف الى أن يذوبوا في مجتمع هذه البلاد، ولا شك انه كان لهذا التحول إنعكاساته على النظام العام للامبراطورية المغولية وكل البلاد التي كانت تتبعها.

ومع هذه الاهمية لمثل هذا التحول الحاسم وصلته المباشرة بتاريخ العالم الاسلامي اذ كانت ثلاث من الخانيات المغولية الرئيسة التي نشأت في بلاد المسلمين وهي دولة الجغتاي في بلاد ما وراء النهر والدولة الايلخانية في كلا من العراق وايران والمناطق المجاورة لهما ودولة مغول القبجاق في شمال البحر الاسود تعد جزءاً لا يتجزأ من الامبراطورية المغولية، واصبحت تدين بالولاء لمركزها الجديد في الصين، إلا ان هذا الموضوع لم ينل الاهتمام سواء من المؤرخين المعاصرين أو الباحثين المختصين، ولعل هذا هو أحد الأسباب التي دعت الى فكرة كتابة هذا البحث الذي يتناول بشكل خاص (التأثيرات الحضارية الصينية على حكم إسرة اليوان المغولية).

ولكن من المهم التأكيد اننا لسنا في وارد هذا البحث المقتضب الاحاطة بالأسباب والظروف السياسية والصراعات العسكرية التي أدت الى انتقال مركز حكم المغول الى الصين بدلاً من منغوليا، وانما هذا البحث يقتصر حصراً على رصد وتحليل أهم المؤثرات الحضارية الصينية التي طرأت على النظام العام للامبراطورية المغولية والتي نتجت عن عملية هذا الانتقال.

الاسباب التي أدت الى تبني المغول للقيم الحضارية الصينية

عرف عن حكام المغول منذ البدايات المبكرة لإحتكاكهم ببلاد الصين ، ومن ثم إحتلالهم لأجزاء كبيرة من هذه البلاد خشيتهم الشديدة من أثر الحضارة الصينية وانجازاتها، ولذلك حاولوا منذ البداية أن يعملوا على إبقاء قومهم منفصلين عن أهل البلاد الأصليين على قدر ما يستطيعون، وبناءاً على ذلك فقد اصدروا الأوامر الصارمة التي تمنع أبناء جلدتهم من التزاوج والاختلاط بهم[1]، كما حظروا عليهم تعلم لغة أهل هذه البلاد[2]، وفضلا عن ذلك ، كان الحكام المغول يفضلون إستخدام الاداريين والموظفين في المناصب العليا من غير أبناء الصين كل ما كان ذلك ممكناً[3].

وبدون أدنى شك ان خشية المغول هذه من بلاد الصين مردها يعود الى قلة عددهم مقارنة بحجم سكان الصين التي تفوق عدد سكانهم اضعافاً مضاعفة، فضلاً عن تخلفهم الحضاري وبساطة حياتهم بالمقارنة مع حالة التحضر والتمدن التي كان يعيشها اهل الصين، ولذلك كانوا يخشون ان يؤدي بهم الاختلاط بأهل هذه البلاد الى فقدانهم لهويتهم ومن ثم الذوبان والزوال وسط هذا المحيط البشري الواسع، ومن هنا كان عليهم منذ البداية التشبث بكل ما أمكن بعاداتهم وتقاليدهم والتمسك بقوانين (الياسا)[4] الجنكيزخانية التي كانت تنظم لهم كل شؤون حياتهم ، وقد كانوا يرون فيها عاصماً لهم من هذا المصير، وخير دليل على ذلك هو ما ورد من نصوص وروايات عديدة يستشف منها مدى تخوف المغول الشديد من الاختلاط بأهل الصين والريبة من حضارتهم، فقد كان يتداول بينهم قولاً مأثوراً كان قد ورد على لسان جنكيزخان (549ه – 624ه / 1155- 1227م)[5] مؤسس الامبراطورية المغولية على انه أحد الوصايا الحكيمة التي سمعها من والده يسوكاي بن بهادر زعيم قبيلة قيات ومفاده : ((إننا لا نبلغ واحداً من مائة من عدد سكان الصين، والسبب الوحيد الذي من اجله أمكننا مقاومتهم هو إننا جميعاً قوم رحل ننتقل بمؤننا من مكان الى آخر، وذلك لأننا لنا خبرتنا بنوع القتال الخاص بنا، فإذا استطعنا سلب ما نحن في حاجة اليه، وإذ لم نستطع قبعنا بعيداً، أما إذا انهمكنا في بناء المدن، وتغيير عاداتنا، ساء طالعنا، وهوى نجمنا))[6].

ولم يكن جنكيزخان نفسه أقل خشية وتبرماً من الحياة المدنية الصينية، وماكانت تتميز به من ترف وبذخ قياساً الى حياة المغول التي كانت تتسم بالبساطة والبعد عن التكلف، وإنه شخصياً كان يفضل حياة قومه القاسية المعتمدة على الكفاح والصبر والجلد بدلاً من حياة الترف والليونة التي كان يعيشها أهل الصين إذ نقل عنه قوله: ((لقد برمت السماء من هذا البذخ المتناهي في الصين. أما أنا فسأبقى في المنطقة المتوحشة في الشمال، وسأعود الى حياة البساطة، وأحتفظ بنفس ردائي وغذائي، تماماً مثل ما يعيش الرعاة))[7].

ولكن لم يمض على وفاة جنكيزخان أكثر من ثلاثة عقود من السنين حتى تغير موقف المغول من أهل الصين وحضارتهم، وتحديداً عندما تولى قوبيلاي

قاان[8] حفيد جنكيزخان وخامس أباطرة المغول الحكم في سنة 658ه / 1260م ، والذي قام بنقل مركز الحكم(ألأردو) الى مدينة (خان باليغ)[9] الصينية بدلاً من مدينة قراقورم عاصمة المغول الاصلية ، ومع ان دوافع هذا القرار كانت في البداية تعود لأسباب سياسية الهدف منها رغبة القاان الجديد بالابتعاد عن الكثير من مناوئي حكمه في منغوليا، ولأسيما بعض إمراء ألأسرة الجنكيزخانية الذين كانوا قد اصطفوا الى جانب أخيه الآصغر أريق بوقا في مسألة النزاع على العرش والتي حسمها قوبيلاي قاآن لصالحه في نهاية المطاف [10]، ولكن واقع الحال تطور أكثر من ذلك فسرعان ما أظهر قوبيلاي قاآن مرونة لم تكن معهودة عند الحكام المغول الذين سبقوه عندما تبنى معظم النظم والقواعد والقواعد الصينية في شؤون الحكم والادارة[11]، واتخذ عنواناً جديداً لحكم المغول بإسم (اليوان)[12]، وقد شكل هذا الحدث بداية لتحول عميق وجوهري ليس في شكل النظام السياسي والاداري للامبراطورية المغولية فحسب، وانما انعكس على كافة جوانب الحياة فيها وترك فيها تأثيرات بعيدة المدى كان من ابرزها اندماج المغول في حضارة بلاد الصين وتبنيهم لعاداتها وتقاليدها ومن ثم الذوبان فيها.

وهنا يبرز التساؤل عن ما الذي حدث وجعل المغول يضعون حداً لريبتهم وخشيتهم من حضارة ومدنية أهل الصين، ومن ثم اندفاعهم بشدة وتقبلهم بكل سهولة لنظم وقواعد هذا البلد بدلاً من كثير من تقاليدهم وعاداتهم الخاصة التي طالما تمسكوا بها؟

وللاجابة على ذلك يمكن القول ان هناك عدة أسباب أدت الى هذا التحول بعضها مرتبط بالمغول بصفة عامة وإخرى تعود لشخص امبراطورهم الاعظم قوبيلاي قاآن بصفة خاصة، وفضلا عن أسباب إخرى تعود الى بلاد الصين نفسها والمتمثلة في قدرتها الفائقة على إحتواء كل الأقوام الغازية التي سبق وان قامت بإحتلالها، فبالنسبة للمغول كما هو معروف انهم امة قليلة السكان مقارنة بمن حولها من أقوام و في ذات الوقت كانت تفتقر لكل عوامل التحضر والمدنية، ولذلك عندما قامت بالفتوحات الواسعة خارج موطنها وإخضاعها لامم وأقوام كبيرة وجدت إنها لا تستطيع الانغلاق على نفسها لمجرد الحفاظ على كيانها

المادي والمعنوي في مواجهة المغلوبين، فكان لزاماً على المغول الانفتاح على الامم الاخرى من تلك التي قاموا باخضاعها وذلك لغرض سد ما كانوا يحتاجون اليه وغير المتوفر عندهم أساساً، ولذلك أدركوا تمام الادراك وجود حاجة ماسة للتواصل والتبادل بمختلف جوانب الحياة مع كل الشعوب التي تغلبوا عليها، وفي هذا الشأن يؤكد المستشرق هورن بول ان وضع المغول في الصين لا يختلف عن وضعهم في أي مكان آخر قاموا بفتحه من العالم، فسرعان ما يجرفهم تيار البلاد، لأن التقليد هو إحدى خواص المغول ويعني هذا انهم في كل وقت يكفون أيديهم عن القتل والغزو، ويعودون للحالة الطبيعية في ذلك الوقت تراهم يميلون للاقتباس من الأمم الاجنبية المتمدينة ويأخذون عنها نظم الحكم[13].

وأما فيما يخص الامبراطور قوبيلاي قاآن فبسبب إقامته الطويلة في الصين قبل توليه العرش، حيث كان حاكماً على بعض من ولاياتها[14]، قبل ان يعهد اليه أخيه الامبراطور منكوقاآن (647 – 655ه / 1249 – 1257م)[15]، فتح ما تبقى من البلاد كان قد تأثر كثيراً بعادات أهل البلاد وفتن باسلوب حياتهم[16]، فضلاً عن ذلك فإن قوبيلاي قاآن كان قد وصف بالمصادر بانه رجل واسع الافق وحر التفكير[17]، وتميز بالعقل والكفاءة بجانب الدهاء السياسي، ولذلك أدرك انه لا يستطيع أن يحكم الامبراطورية المغولية بأكملها من مركزها الجديد في بلاد الصين اعتماداً على التفويض الممنوح له من (القوريلتاي)[18] (مجلس الامراء المغول الكبار) فقط، دون ان يأخذ بنظر الإعتبار أن يكون لأهل البلاد الذين أقام حكمه وسط ظهراينهم دوراً في نظام حكم الإمبراطورية المغولية الجديد الذي بدأ بتأسيسه في هذه البلاد، كما انه كان يملك الشجاعة الكافية ليقوم بإحداث هذا التحول الخطير والوقوف متحدياً في وجه الامراء المغول المعارضين لهذا التوجه والذين قالوا له: ((التقاليد القديمة لإمبراطوريتنا ليست هي ذاتها الموجودة في القوانين الصينية، فماذا الذي يجري لعاداتنا القديمة ؟))[19]. وفي هذا الشأن يرد في الحوليات الصينية ان قوبيلاي قاآن لم يأبه للامراء المغول المعترضين على سياسته الجديدة لأنه كان قد عقد العزم على أن يكون حكمه مختلفاً عن أسلافه وأراد أن لا يظهر بمظهر الحاكم الغازي البدوي الذي لا يجيد غير

الغزو وقيادة الشعوب البدوية فحسب، وإنما أراد ان يكون الحاكم الذي له القدرة على إدارة البلاد المتحضرة، ويظهر علناً رغبته في البناء والتعمير[20].

ونقل مورس روسابي عن الحوليات الصينية انه كان لزوجة قوبيلاي قاآن الاثيرة لنفسه والمسماة جابوي خاتون ذات الاصول التبتية دوراً في هذا التحول عندما أقنعت زوجها بإنه اذا ما أراد أن يكون حكمه مستقراً ومزدهراً في بلاد الصين فيتوجب عليه أن يتقمص هوية البلاد وأن يتطبع بطباع أهلها[21]. وفي الوقت ذاته كان لنصائح بعض مستشاريه من أهل الصين والتي صبت جميعها بنفس رأي زوجته كانت قد لقيت صدى وقبول في نفسه[22]، ولأسيما انه عرف عن قوبيلاي قاآن انه كان يستمع للنصائح وله ميل شديد للأخذ من أقوال الحكماء والاستفادة من تجاربهم[23].

وأما الأسباب التي تخص الصين نفسها، فلابد من القول ان هذا البلد ذا الحضارة العريقة والذي حكمته سلالات متعاقبة مثل التانغ واليواو والكين والسونغ لآلاف من السنين لابد وأن تأسر نظمه وقوانينه المتطورة قلوب كل الغزاة والفاتحين وتفتنهم بعاداتها وتقاليدها على مر العصور، وقد لخص الباحث بارتولد شبولر ذلك بدقة عندما ذكر بالنص: ((كان موقف الصينيين بالنسبة للغزو المغولي على العموم هو نفس الموقف الذي وقفه الصينيون دائماً خلال تاريخ بلادهم الطويل، فقد خضعوا السلطة الحكم الاجنبي، ولكنهم اغرقوا هذا الحكم بقوة حضارتهم الهائلة، التي سرعان ما استسلم لهم ذلك الحكم ذلك استسلاماً تاماً))[24].

وفضلاً عن ذلك، فإن الطبقة الادارية الصينية الكبيرة بما عرف عنها من تنظيم وكفاءة والتي كانت قد تغلغلت بسرعة في كل مفاصل الحكم المغولي ساهمت بشكل كبير في جعل الغزاة المغول الذي لا يملكون الحد الادنى من المكنة الادارية يلجأون الى تفويضهم إدارة البلاد وفق ما إعتادوا عليه من نظم وقوانين[25].

على الرغم من ان مجلس (القوريلتاي) والذي كان يستمد شرعيته من تعاليم الياسا الجنكيزخانية إستمر كأحد العناصر الرئيسة في هيكل النظام السياسي لإسرة اليوان المغولية، ولم يتم التخلي عنه لكونه المرجع الأول الذي يوجه السياسة العامة للإمبراطورية المغولية ، ولكن مع هذا فإن النظام السياسي الذي أرساه قوبيلاي قاآن لم يعد مغولياً خالصاً كما كان من قبل، وإنما خضع في هذا الجانب بشكل كبير للمؤثرات الحضارية الصينية، وتمت إعادة صياغته على أساس ازدواج الهوية وذلك من خلال المزج بين قواعد الياسا المنظمة لشؤون الحكم والادارة من جانب، والأخذ بالنظم والقوانين الصينية المتوارثة في هذه البلاد منذ القدم من جانب آخر، بحيث أصبح هيكل النظام السياسي لإسرة اليوان المغولية مرتكزاً على عنصرين أساسيين متداخلين بينهما، ولا يمكن النظر لأحدهما إلا في سياق الآخر، وهما المغول كرمز للسلطة وإدارة الحكم اولآ، واهل البلاد على كونهم يمثلون مايسمى ب(الالوس الأكبر)[26] من السكان التابعين للإمبراطورية المغولية ثانياً.

والمظهر الاول المعبر عن هذا التحول في النظام السياسي الجديد يمكن تلمسه من خلال تخلي المغول من إسرة اليوان عن العلم الابيض التقليدي ذو الريشات التسع أو (الذيول التسعة) والتي ترمز في مجموعها الى وصايا جنكيزخان كشعار للحكم المغولي بعد ان ظل هذا العلم رمزاً مقدساً للامبراطورية المغولية لأكثر من نصف قرن[27] وبالمقابل تم تبني كثير من المراسم والطقوس التي كان يمارسها أباطرة الصين القدامى.[28]

وأما في الجوانب الادارية فقد ظهرت المؤثرات الصينية على حكم إسرة اليوان المغولية بشكل فاق غيره من الجوانب ، وذلك لكون بلاد الصين كانت قبل ان يتخذ منها المغول مقراً لحكمهم تتمتع بنظم ومؤسسات ادارية مدنية كانت غاية في التنظيم والتطور، ولم يكن في بلاد المغول الاصلية ما يضاهي تلك المؤسسات الادارية الضاربة في القدم، ولذلك وجد الحكام المغول عدم قدرتهم على الاستغناء عن طبقة الاداريين الصينيين في تسيير شؤون الادارة والحكم، وقد قام هؤلاء بعملهم على أكمل وجه، وأسهموا بدورهم في تسريع عملية نقل الآداب والرسوم الادارية الصينية لدولة اليوان.

وأول بوادر التأثير الصيني على الادارة المغولية هو ظهور التسلسل الهرمي على نظام الوظائف الادارية العليا في العاصمة الامبراطورية خان باليق، والتي تتمثل في وجود سبعة مناصب ادارية لم تكن في معظمها معروفة عند المغول في السابق[29]، ويأتي على قمة هذه المناصب وظيفة (الجونغ سانغ)[30] أو (الجينكسنك) والتي تعني (الامراء العظام)[31]، وهذه الوظيفة العليا لم يكن هناك مايماثلها في الادارات المغولية السابقة سواء في المركز او في الدول التابعة (الخانيات)، وهذا يدل دلالة واضحة على ان المغول استمدوها من النظم الادارية الصينية القديمة وتسميتها خير دليل على ذلك، وكان من صلاحيات من يتولى هذه المنصب هو إدارة الامور العليا للدولة حسب مايصدر من القاآن الأعظم للمغول من توجيهات [32].

ومع ان منصب الوزارة كان معروفاً عند المغول وعملوا به منذ عهد جنكيزخان[33]، إلا انه في عهد إسرة اليوان أصبح يحتل مرتبة تالية بعد منصب (الجونغ سانغ)[34]، وكان يطلق على من يتولى هذا المنصب تسمية صينية متداولة في هذه البلاد وهي (فنجان)[35]، وجرت العادة ان يتم تعيين أربعة فناجين (وزراء) يمثلون مختلف الأقوام الكبيرة المنضوية تحت لواء الامبراطورية المغولية[36]، وكان أحد هؤلاء الوزراء الأربعة يتبوأ الرئاسة بينهم وكان يطلق عليه (شوفنجان)[37] والتي تعني حسب ما ذكره المؤرخ رشيد الدين (زبدة الفناجين) أو (مقدم الفناجين)[38].

ويأتي بعد هاذين المنصبين الأعلى في النظام الاداري خمس مراتب من الوظائف الكبيرة، وهي جميعاً تحمل مسميات صينية الأصل[39]، وهي حسب تدرجها (يوجينك)[40] و (زوجينك)[41] و (سم جينك)[42] و (سمي)[43] و (لنجون)[44] او (كنجون)[45]، ومع انه لم يرد في المصادر ما يشير الى تحديد دقيق لمهام القائمين على هذه الوظائف أو مايتمتعون به صلاحيات ، ولكن من الواضح انها إستمدت من الوظائف الادارية الصينية السابقة.

واقتبس المغول من بلاد الصين نظام (الشينك) أو (الديوان الاعظم)[46] وهو المكان الذي تمارس فيه الادارة المركزية عملها، وهو يماثل في عمله(ديوان الممالك) الذي أنشأه المغول الإيلخانيين في مشرق العالم الاسلامي[47] ، وقد أورد المؤرخ رشيد الدين نصاً ذكر فيه تفاصيل عن هذا النظام بقوله: ((ان ديوان الشينك كان واسعاً ويقدر بمساحة قرية، وفيه دور وغرف كثيرة مع مرافقها وتوابعها، ويقوم الغلمان والخدم الكثيرون بملازمة الموظفين، والقيام على خدمتهم . اما تفصيلات الإدارة والانظمة المعمول بها في هذا الديوان فهي في غاية الدقة والكمال))[48]. وبلا شك يظهر هذ النص وجود إدارة مدنية متكاملة تمارس عملها على غرار عمل النظم الإدارية الصينية السابقة بمنأى عن أي دور للجيش وقادته من طبقة (النوين) كما هو المعتاد عند المغول من قبل .

ولم يقتصر أثر النظم الادارية الصينية على الحكم المغولي في العاصمة خان باليق، وانما أخذت إسرة اليوان بالعمل بالتقسيم الصيني للوحدات الادارية التي تتكون منها الامبراطورية المغولية، باستثناء (الخانيات) [49]، حيث تم ترتيب الوحدات الإدارية بشكل متدرج حسب حجم كل وحدة، وتحتل أوسعها مساحة المرتبة الاولى وتليها الوحدات الأصغر منها، واطلقوا عليها نفس مسمياتها الصينية دون تغيير، وهي (كينك)[50] وتطلق على الولاية الاوسع مساحة ثم تأتي بعدها الوحدات الاقل مساحة وهي (دو)[51]، (فو)[52]، (جو)[53]، (كون)[54]، (هين)[55]، (جين)[56]، حتى تصل الى اصغر وحدة ادارية وهي (شين) والتي تعني القرية[57]. وذكر المؤرخ رشيد الدين ان لهذه التسميات معنى خاص من

حيث الاشتقاق، وبناء على ذلك فقد كانت تعرف مراتب الحكام من القاب تلك المدن، بحيث لا تكون هناك حاجة ابداً لكتابتها في المراسيم[58].

وعلى غرار ما موجود في الصين فقد عرف المغول منهم لأول مرة نظام الهيئات الملحقة بالشينك (الديوان)[59]، وهي عبارة عن هيئات مساعدة تكمل عمل الادارة، اذ ورد ذكر هيئة (لي جي بو)[60] وكانت مهامها تتركز بشكل أساس في إختيار حكام الولايات وإرسال الموظفين الإداريين الأكفاء الذين يطلق عليهم إسم (الماندرين)[61] وهي الطبقة الإدارية الجديدة التي نشأت في ظل حكم إسرة اليوان الى العمل في إدارات الولايات المختلفة، وهذا النظام يعكس تطور جذري في إسلوب الادارة المغولية فقد كان في السابق يتم إختيار حكام الولايات حصراً من بين أفراد الإسرة الجنكيزخانية أو المقربين منها لغرض حكم ما يسمى عند المغول بـ (الالوس) في كل ناحية من انحاء الامبراطورية المغولية[62] كما استقى المغول لاول مرة من بلاد الصين إنشاء هيئة كان من مهامها الاشراف والرقابة على الأدارة بشكل عام، والتحري بشكل خاص عن الشؤون المالية ومراقبة الايرادات والنفقات واطلقوا عليها إسماً صينياً (هي يوبو)[63]، وتم تأسيس فروع ثانوية لهذه الهيئة في معظم الولايات التي تخضع لحكم مركز الامبراطورية المغولية[64].

أثر الحضارة الصينية على الجوانب الاقتصادية للمغول(إسرة اليوان)

كان للجوانب الاقتصادية عند المغول نصيب كبير من التأثر ببلاد الصين حيث ظهر تبلور كثير من خطوط التباين عن المرحلة السابقة، فالمعروف عن المغول انهم كانوا من الرعاة الرحل وكان اقتصادهم البدائي يعتمد بصورة اساسية على الرعي والصيد في موطنهم الاصلي، ومن ثم بعد احتلالهم للبلاد الاخرى اضافوا اليه ما يحصلون عليه من الغنائم والضرائب الباهضة التي كانوا يفرضوها على السكان الذين خضعوا لحكمهم مثل ضرائب القوبجور[65] والتمغا[66] وضريبة

(الرؤوس) [67] وغيرها، ولكن هذا الواقع سرعان ما تغير في عهد إسرة اليوان التي عملت على الاخذ بالنظم الصينية المتطورة والتي كانت تنظم كافة جوانب الاقتصاد المختلفة، وظهرت إدارات خاصة مرتبطة مباشرة بإدارة الديوان الأعظم(الشينك) وقدانيطت بكل واحدة منها مسؤولية العمل على إنعاش وإزدهار إحدى جوانب الاقتصاد المختلفة.

وكان في مقدمة ذلك التأثر أن ظهر إهتمام المغول الشديد بقطاع الانتاج الزراعي والذي كان يمثل محور النشاط الاقتصادي للغالبية العظمى من سكان الصين، بعد ان كان هذا الجانب في السابق عند المغول لا يعني أكثر من نشاط يوفر الموارد المالية من الضرائب المجباة من المزارعين الى خزائن الدولة ، وفي خضم هذا الأهتمام فقد وظف المغول من إسرة اليوان موروث وخبرة بلاد الصين العظيمة في هذا المجال والمتمثل بوجود الانهار العظيمة والاراضي الخصبة والأيدي العاملة ، وكانت اولى علامات هذا التأثير هي الأوامر القاآنية التي صدرت في سنة 663 ه / 1264 م والتي تمنع الامراء والحكام المغول منعاً باتاً من التجاوز على الاراضي الزراعية وتحويلها الى مراعٍ[68] ويعد هذا بحد ذاته تحول جذري في سلوك المغول الذين كانوا لا يجدون أدنى مفاضلة بين ممارسة الرعي الذي كان يحتل أهمية قصوى في حياتهم وبين إمتهان حرفة الزراعة التي كانت موضع إستهانة من قبلهم ، إذ كان ينسب لجنكيزخان القول عند مشاهدته لحقول القمح الواسعة في بلاد الصين ((يجب ان تحول جميع هذه الحقول الى مراعٍ للخيل))[69].

وكدليل ملموس على هذا التحول الجذري فيما يخص ألإهتمام بالزراعة فإن الأمر لم يقف الامر عند حدود المحافظة على الاراضي الزراعية وعدم التجاوز عليها، وإنما اتخذت الخطوات اللازمة لزيادة الانتاج الزراعي، ومن بينها انشاء ادارة خاصة مسؤولة عن كل شؤون الزراعة اطلق عليها (جينغ سوو)[70]، وهي بلا أدنى شك تسمية صينية الأصل، وكانت من مهامها الرئيسة تطوير النشاط

الزراعي والإهتمام بالثروة الحيوانية[71]، وقد إسس فرع ضمن هذه الهيئة كان مسؤولاً بشكل خاص عن العناية بتربية دودة القز التي كانت تحظى بأهمية خاصة للاستفادة منها في التوسع في انتاج الحرير الذي كان يشكل أحد أهم السلع التجارية ومورداً مهماً من موارد بلاد الصين منذ القدم[72] .

ومن الإجراءات الاخرى التي أتخذت لتطوير الزراعة هو تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاحين ومراعاة ظروفهم في بعض المواسم السيئة التي يتعرض فيها الأنتاج للضرر على غرار ما كان يفعل أباطرة الصين القدامى[73]، فضلاً عن إتباع سياسة شراء المحاصيل من المزارعين باسعار مجزية لاجل تخزينها في مخازن خاصة واستخدامها وقت الحاجة اليها في حالات حدوث الكوارث الطبيعية أوتزويد الجيش بالمؤن في أثناء الحروب[74].

وكان واحداً من أهم مظاهر التأثر المغولي بمدنية وحضارة الصين هو ما حدث في الجانب المالي والمتمثل بشكل خاص في تعميم إستخدام النقد الورقي المعروف بـــ (بالشت جاو)[75]، والذي كان معروفاً في هذه البلاد ومستخدماً فيها على نطاق محدود منذ سنة 349 ه / 960 م[76].

وفي هذا الشأن ذكر المؤرخ وصاف (ت 735 ه / 1334 م)) ان قوبيلاي قاآن امبراطور المغول كان قد ادرك الفوائد الكبيرة لهذا النوع من النقد وما يدره من موارد لخزائن الحكم، فأصدر الاوامر باستخدامه في جميع بلاد الصين التي اتخذها قاعدة لحكمه[77].

وأورد الرحالة الايطالي ماركوبولو (ت 725 ه / 1324 م)، والذي كان أحد الندماء المقربين لإمبراطور المغول قوبيلاي قاآن لأكثر من سبعة عشر عاماً نصاً فيه تفصيلات غاية في الدقة عن هذا النقد الورقي المستخدم في عهد إسرة اليوان المغولية اذ ذكر ((توجد بمدينة (كمبالو)[78] دار ســـك الـنقود التابـعة لـــلقـــاآن الاعظم، والتي تعطي لهذا النـــوع من العملة شـــرعـــيتـــها بالـــقـــرارات والمراسيم، كأنما هي مصنوعة من خـــالص الـــذهـــب والفـــضـــة ... واذا اكـــتـــملـت

عـــمليـــة اصـــدارها يـــوضـــع عـــليهـــــا خـــتم (الـــقـــآن) القــرمزي اللون وبذلك تكتسب صفة الشرعية كعملة نـــقـــديـــة))[79].

وفضلاً عن ذلك ، فقد أضاف الرحالة ماركوبولو تفصيلات إخرى من بينها انه تم الزام جميع الناس بالتعامل بهذا النقد وفي خلاف ذلك فإنهم يتعرضون لعقوبات تصل حد الموت[80]. وقد ورد ما يثبت ان هذا النوع من النقد اصبح هو الوحيد المتداول لغرض البيع والشراء في بلاد إسرة اليوان المغولية حتى ان الرحالة المغربي ابن بطوطة (ت 779 ه / 1377 م) الذي زار هذه البلاد ذكر نصاً صريحاً جاء فيه ((اذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة أو دينار ذهب يريد شراء شيء لم يـــؤخـــذ مـــنـــه ، ولا يـــلتـــفـــت عـــليـــه حـــتى يســـتبـــدلـــه بـــالبـــالشـــت(الـــنقـــد الـــورقي) ويشتري به ما يريد))[81].

وشهد النشاط الاقتصادي في هذا العهد بتأثير النظم الصينية إنشاء هيئات خاصة تنظم لأهل الحرف والصنائع عملهم ، وكان من نتائج ذلك أن ارتفع شأنهم كثيراً بعد ان كانوا في عهود المغول السابقة يتعرضون للإستغلال البشع وتفرض عليهم أعمال السخرة دون مقابل، وقد إنعكس دور هذه الهيئات بشكل إيجابي على تطور الصناعات وبلغت غاية في الجودة وذاعت شهرتها[82]، وفي هذا الشأن ذكر ابن فضل الله العمري (ت749 ه / 1348 م) عن صناعة أهل بلاد الصين في عهد اسرة اليوان المغولية بكونهم من أهل الاعمال اللطيفة والصنائع البديعة التي التي لايوجد مايضاهيها عند الأمم الأخرى[83].

أثر العلـــوم الصينية على مغـول إســرة اليــوان

لم تكـــن الشـــؤون العـــلمية بمنأى عن التغيير والتأثر عند المغول بفعل تطور بـــلاد الصـــين في هـــذا الجـــانـــب ، فـــقـــد إهتـــم حـــكـــام إســـرة اليـــوان بـــالـــعـــلوم الصـــينيـــة ولا سيما ذات الفائدة العملية الخاصة لهم مثل الطـــب حيث حظي برعاية

خاصة من لدن الحكام إذ تم إنشاء مراكز خاصة لتدريس هذا العلم وصناعة الادوية في مدينة خان باليق وغيرها من المدن[84]، وقد وصفت هذه المراكز بانها كانت على مستوى عالي من الكفاءة حتى انه وضعت شروط ومقاييس خاصة لابد ان يتحلى بها كل من يتولى التتدريس فيها، أو من يقوم بعمل الاشراف على اعداد الاطباء من الطلاب[85]. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد انشئت مدارس طبية كان لها دور تكميلي لعمل ألأطباء وكان من مهامها إعداد وتأهيل الموظفين المساعدين لعمل الاطباء كالمعالجين والصيادلة وغيرهم من أولئك الذين يكلفون بالعناية بالمرضى [86].

و أما فيما يخص علم الفلك فقد عرف عن المغول إرتباطهم الشديد بالتنجيم والمنجمين، وكانوا لا يقومون بعمل ما إلا بعد أخذ رأي المنجمين فيه على الرغم من ان هؤلاء كانت لهم معتقدات خرافية في هذا الشأن ويستخدمون وسائل غير علمية في التنبؤ عن المستقبل [87]. غير ان التطور الذي حدث في عهد إسرة اليوان وبتأثير من العلماء الصينيين فقد تم اخراج هذا العلم من السحر والشعوذة الى علم حقيقي قائم على علم الرياضيات الذي يعد من القواعد الأساسية لعلم الفلك، وقد أدى هذا التغيير الى أن أصبح العلماء الفلكيين يتنبأون بدقة لمواعيد خسوف القمر او كسوف الشمس وغيرها من الظواهر الطبيعية[88] وكان واحداً من أهم أسباب هذا التطور هو تشييد المرصد المعروف بـ (هوي هوي) في مدينة (داي دو)[89]، وفي ظل هذا الوضع نال علماء الفلك والمشتغلين فيه رعاية خاصة ، وتم تهيئة الوسائل اللازمة لممارسة أعمالهم حيث تم تأسيس هيئة أرصاد فلكية وقد كان من مهامها متابعة الظواهر الطبيعية وعمل الحسابات التقويمية في البلاد، وكان من أهمية هذه الهيئة ان شغل العاملون الكبار فيها الدرجة الرابعة من سلم الوظائف العليا والمسماة (زوجينك) ثم سرعان ما إرتقت للدرجة الثالثة التي

كان يطلق عليها (يوجينك) مما يدل على المكانة التي بلغها العاملون في هذا العلم[90].

وفي هذا الشأن ذكر الرحالة ماركوبولو ان الامبراطور قوبيلاي قاآن كان قد تولى رعاية عدد كبير من علماء الفلك وكان دائماً ما يزودهم بما يحتاجونه من طعام وكساء وكذلك الادوات التي يحتاجونها في عملهم كالاسطرلاب الذي يصور علامات الكواكب وغير ذلك[91].

وخير دليل على توجه المغول نحو علم الفلك الصيني هو إستعانة إسرة اليوان المغولية في سنة 661 ه/1263 م بالعالم الصيني كوشيوشنغ[92] ، والطلب منه إعداد حسابات فلكية والعمل وضع تقويم فلكي جديد تكون بدايته من عهد إسرة اليوان[93].

كما ظهر اهتمام إسرة اليوان المغولية بشكل جلي بالعلوم الصينية الأخرى مثل الجغرافية وعلم التاريخ، وكما ظهر تأثرهم بالآداب والفنون الصينية وهي أمور لم تعهد عند الحكام المغول من قبل، ومن أبرز مظاهر هذا الاهتمام هو التشجيع على تأليف الكتب على نطاق واسع ولعل تدوين حوليات (اليوان شي) التي أرخت لتاريخ الامبراطورية المغولية وتاريخ الصين على حد سواء خير شاهد على ذلك[94].

التأثير الصيني على القضاء المغولي (الياغو)

وشهد النظام العدلي عند المغول في عهد إسرة اليوان تطوراً كبيراً فلم تعد قواعد محاكمات (الياغو) الصارمة والمستندة الى قوانين الياسا الجنكيزخانية هي المرجع الوحيد للنظام القضائي، وإنما تمت الاستفادة من القوانين الصينية في هذا المجال ، وتم التخفيف كثيراً من إحالة الناس للمحاكمة دون أدلة ملموسة ، أو الأخذ بالناس لمجرد الشبهة ألأمر الذي كان شائعاً من قبل ، وإنما اتبعت وسائل جديدة للتأكد من صحة اتهام الجناة، وقد

ورد نص عن ذلك عند المؤرخ رشيد الدين يتبين من خلاله كيف ان المسؤولين عن القضاء في حكم إسرة اليوان المغولية إقتبسوا الطرق المتبعة عند أهل الصين في التعرف على مرتكبي الجرائم، والاخذ بوسائلهم المبتكرة آنذاك إذ ذكر: ((تؤخذ بصمات الاشخاص الذين يحقق معهم ، والغرض من هذه البصمات، هو انه تحقق وثبت بالتجربة ان عقد أصابع الناس متفاوتة، فإذا ما أقاموا الدليل على أحد، فإنهم يضعون الورقة تحت أصابعه، ويرسمون على ظهر تلك الورقة خطاً على موضع عقد اصابعه، ولأنها تكون صحيحة، فلا يستطيع الانكار))[95]. وبلا أدنى شك فإن هذا النص يظهر مدى تأثر المغول بنظام المحاكم القضائية عند أهل الصين والأخذ بوسائلهم المتبعة في هذا المجال .

تأثـــــر الحكام المغول بالطراز العمراني الصيني

وفي الجانب العمراني ظهر اثر العمارة الصينية واضحاً في المدن الجديدة التي انشأها حكام المغول من إسرة اليوان في الصين مثل مدينتي خان باليغ وداي دو[96]، وكذلك تشييدالقصور الملكية الفخمة التي انشأت على الطراز المعماري الصيني تقف دليلاً على ذلك، وقد ورد عند المؤرخ رشيد الدين وصفاً دقيقاً لأحد هذه القصور المسمى (قرشي)[97] والذي شيد على الطراز الصيني عندما ذكر (... أعمدته وأرضياته كلها من الرخام والمرمر، و هي مشيدة في غاية الروعة والنظافة، وانه مقسم الى أربعة اقسام ... القسم الخارجي للبلاط والتشريفات، والداخلي لجلوس الامراء الذين يجتمعون كل صباح، والثالث للحرس، والرابع للخاصة، ويقيم القاآن في ذلك القصر شتـــــاءاً، وكثيراً ما صور المصورون مناظر ذلك الصرح في كتب التاريـــــخ، وانه فعلاً لعلى تلك الهيئة التي صورت له))[98].

ومن كل هذا نخلص الى القول ان التأثر المغولي في عهد إسرة اليوان بحضارة بلاد الصين كان شاملاً لمختلف جوانب الحياة ، وقد أدى بالفعل بشكل تدريجي الى إندماج سلطة المغول التي تمثل قلة غازية في السياق العام للحضارة الصينية ، مما غير من مسار الامبراطورية المغولية وخواصها التي عرفت بها

للعالم منذ عهد مؤسسها جنكيزخان ، وقد نتج عن ذلك أن تحول حكام إسرة اليوان في نهاية المطاف الى مجرد إسرة حاكمة صينية الطابع ولاترتبط بالمغول سوى بصلة النسب الجنكيزخاني .

الهـــوامـــــــش

1- Russabi, Morris, Khubilai Khan,(Califor naia, 1988), P.38

2- Ibid, p, 39.

3- رشيدالدين فضل الله الهمداني (ت 718 ه / 1318 م)، جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشاءت وآخرون، (القاهرة، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد، 1960)، ج2، ق1، ص283.

4- الياسا: وتلفظ احياناً بالياصا، واحياناً اخرى تسمى باليسق او اليساق، وهي كلمة مغولية – تركية تعني قانون او حكم او قاعدة، والمقصود بالياسا هي مجموعة الاحكام والقوانين التي أقرها جنكيزخان مؤسس امبراطورية المغول في سنة 603 ه / 1306 م، وقد استنبط القسم الاكبر منها من عادات المغول القديمة، واضاف عليها احكاماً اخرى مستحدثة ، واصبحت بمثابة الدستور الذي ينظم مختلف جوانب الحياة عند المغول. للتفصيل عن احكام الياسا ينظر: الجويني، علاء الدين عطا ملك (ت 681 ه / 1282 م) تاريخ جهانكشاي، (القاهرة: بلا. م، 1402ه / 1982 م)، ج1، ص16 – ص25، ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874 ه / 1469 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1938 م)، ج6، ص286.

5- كان اسمه في الاصل تيموجين، وابوه يسوكاي بن بهادر زعيم قبيلة قيات المغولية، وقد توفي والده عندما كان صبياً لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، ولكنه استطاع بفعل قوة عزيمته ان يتجاوز الصعاب والمحن التي مر بها حتى

تمكن من تاسيس امبراطورية المغول العظمى سنة 600 ه / 1203 م ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص110 – ص182، خواندمير، غياث الدين محمد بن همام (ت 942 ه / 1544 م)، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر، (طهران: كتابخانه خيام 1333 ه .ش)، ج3، ص16 – ص23.

6- Harold, lamb, Genghis – khan, Emperor of all the Men, (London, 1934), P-15.

7- Ibid, p-16.

8- هو قوبيلاي بن تولوي بن جنكيزخان تولى عرش المغول بعد وفاة اخيه الامبراطور منكوقاآن سنة 658 ه / 1260 م إثر صراع مرير مع أخيه الأصغر أريق بوقا الذي كان يعتقد بأحقيته بالعرش المغولي، وقد قام قوبيلاي قاآن بنقل مركز حكم المغول من منغوليا الى الصين وأسس ما يعرف بـــ (اسرة اليوان) المغولية وقد توفي في سنة 693 ه / 1294 م. ينظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ص236، ابن العبري، غريغورس ابو الفرج بن أهرون (ت 685 ه / 1286 م)، تاريخ مختصر الدول، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958)، ص490.

9- خان باليق: وهي المدينة التي باشر ببناءها قوبيلاي قاآن قبل ان يتولى العرش في سنة 653 ه / 1255 م، وقد انشئت على اطلال مدينة قديمة حيث ذكر رشيد الدين ((انها بنيت منذ أقدم الازمنة، وقد شيدت بناءاً على اختيار المنجمين والحكماء، واعتبرت دائماً مقترنة بكامل السعادة والاقبال، ولأن جده جنكيزخان قام بتدميرها، فأراد هو ان يقوم بإعمارها)).

ينظر: جامع التواريخ، ج1، ق1، ص271.

10- م .ن ، ج2، ق، ص249.

11- م. ن ، ج2، ق، ص271 – ص272.

12- اليوان: كلمة صينية ذات معاني مختلفة واهمها (الأصل) و (القوة اللامتناهية). ينظر:

Russabi, Morris, Khubilai Khan.

13- تاريخ مختصر ايران، ترجمة رضا زاده شفق، (طهران، 1314.ه.ش)، ص29.

14- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص225 – ص227.

15- منكوقاآن: هو منكو بن تولوي بن جنكيزخان تولى عرش المغول في سنة 647 ه / 1249 م، وهو الذي أرسل كلا من أخويه قوبيلاي وهولاكو على رأس حملتين عسكريتين كبيرتين، الاولى بقيادة قوبيلاي نحو بلاد الصين والثانية بقيادة هولاكو نحو بلاد الخلافة العباسية، وقد توفي سنة 655 ه / 1257 م. ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص215، ميرخواند، حميدالدين محمد بن خداونشاه (ت 903 ه / 1498م)، تاريخ روضة الصفا في في سير الانبياء والملوك والخلفاء، (طهران: جاب بيروز، 339 ه.ش)، ج5، ص181 – ص188.

16- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P. 48.

17- Ibid, p.48

18- القوريلتاي واحياناً يطلق عليه القوريلثاي، وهو مجلس الامراء المغول الكبار والذي ينعقد عادة في العاصمة الامبراطورية، وتقام فيه مراسم تقليدية عند تنصيب القاآن الاعظم، وكما تناقش فيه جميع القضايا المهمة كالحرب والسياسة العامة وما شابه ذلك ينظر

J.J.Saunders, The History of the Mongol Conquest, (London, 1971), P-11.

19- رشيدالدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص249،

John Man, Khubilai Khan, (London, 2007), PP-76-77.

20- Russabi, Morris, Kubilai Khan, P-71.

21- Ibid, P-69 .

22- Ibid, P-69 .

23- رشيدالدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص323.

24- العالم الاسلامي في العصر المغولي، نقله الى العربية خالد أسعد عيسى، (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1982)، ص29.

25- رشيدالدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص259.

26- اطلق المغول على الاراضي المفتوحة بمن فيها من الناس مصطلح (الالوس) وتكون عادة من حصة أحد افراد البيت الجنكيزخاني. ينظر:

Paul. D. Buell, Historical Dictionary of the Mongol Empire, (London, 2003), P.20.

27- إتخذ هذا العلم رمزاً للامبراطورية المغولية في القوريلتاي المنعقد سنة 603 ه / 1306 م، وتمثل فيه الذيول التسعة أهم وصايا جنكيزخان. ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص28.

28- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-71.

29- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص276.

30- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-72.

31- رشيدالدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص276.

32- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-72.

33- خواندمير، دستور الوزراء، ترجمة وتعليق حربي امين سليمان، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1980).

34- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص276.

35- م.ن، ج2، ق1، ص276.

36- م.ن، ج2، ق1، ص276.

37- م.ن، ج2، ق1، ص276.

38- م.ن، ج2، ق1، ص276.

39- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-73.

40- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص276.

41- م.ن، ج2، ق1، ص276.

42- م.ن، ج2، ق1، ص276.

43- م.ن، ج2، ق1، ص276.

44- م.ن، ج2، ق1، ص276.

45- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت 749 ه / 1348 م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري ومهدي النجم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971)، ج3، ص133.

46- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق2، ص277 – ص278.

47- خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج3، ص59.

48- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص280.

49- الخانيات ومفردها (خانية)، وهي البلاد التي كان يحكمها احد امراء الاسرة الجنكيزخانية نيابة عن امبراطور المغول الاعظم ويطلق عليه لقب (خان) وتعني الحاكم التابع للقاآن ينظر:

Land. Pool, Catalogue of Oriental Coins, (London, 1890), Vol, 2. P.101.

50- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-76.

51- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص275.

52- م.ن، ج2، ق1، ص275.

53- م.ن، ج2، ق1، ص275.

54- م.ن، ج2، ق1، ص275.

55- م.ن، ج2، ق1، ص275.

56- م.ن، ج2، ق1، ص275.

57- م.ن، ج2، ق1، ص276.

58- م.ن، ج2، ق1، ص276.

59- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، جمع وترتيب: وليم مارسدن، ترجمة عبدالعزيز جاويد، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1996)، ج2، ص244.

60- م.ن،ج2، ص244..

61- م.ن،ج2، ص244.

62- Paul. D.Buell, Historical Dictionary of the Mongol, P.20

63- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ج2، ص244.

64- Howorth, H.H, History of the Mongols From the 9th to the 19th century,(London, 1927), Vol.2.P-254.

65- القوبجور: وهي ضريبة مغولية كانت تفرض على من يملكون المواشي حيث كان يؤخذ منهم رأس واحد من كل مائة رأس، ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه. ينظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص259، رشيد الدين، جامع التواريخ، ج1، ق1، ص243.

66- التمغا واحياناً تكتب بالطمغة او الدمغة، وهي لفظة مغولية تعني (الختم)، وقد اطلقت على الضرائب التجارية، لما كان يرافق البضائع المبيوعة من ختم الضريبة عليها. ينظر الشبيبي، محمد رضا، اصول الفاظ اللهجة العراقية، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956)، ص36 – ص37.

67- ابن الفوطي، كمال الدين عبدالرزاق (ت 723 ه / 1323 م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، (بغداد: المكتبة العربية، 1351 ه)، ص339.

68- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-120.

69- Ibid, p.120

70- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو،

Franke. H. And Denis. T, The Cambridge History of China, (Cambridge, 2008), Vol. 6 .P-447

71- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-119.

72- Ibid, p.119

73- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ج2، ص75.

74- م.ن،ج2، ص75.

75- وصاف، شهاب الدين عبدالله الشيرازي (ت 735 ه / 1334 م)، تجزية الامصار وتزجية الاعصار والمعروف بـــ (تاريخ وصاف)، (طهران: خيابان حافظ، 1346 ه. ش)، ج3، ص274.

76- Franke. H. And Denis .T, The cambridge History of China, Vol.6..P-421.

77- تاريخ وصاف، ج3، ص274.

78- يقصد بها مدينة (خان باليق) العاصمة الجديدة للامبراطورية المغولية.

79- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ج2، ص65.

80- م.ن، ج2، ص65 – ص66.

81- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، (القاهرة: بلا. م. 1968)، ج1، ص160.

82- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ج2، ص86.

83- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج3، ص112.

84- Russabi, Morris, Khubilai Khan, P-125.

85- Ibid, p.125

86- Franke, H. and Denis. T, The Cambridge History of China, Vol.6.P-451.

87- كانت من وسائل التنبؤ عند المغول وضع عظام كتف الخراف في النار حتى تتفحم، ثم يفحصونها بدقة، فاذا خرجت سليمة دون ان تتهشم فهذا يعني ان القائد المغولي سيكون محظوظاً في امره واذا حدث العكس وتهشمت فان للأمر المنشود عواقب وخيمة ولا خير فيه ينظر:

Howorth, History of Mongols, Vol.3.P-199

88- Franke, H. and Denis. T, The Cambridge History of China, Vol.6.P-451.

89- Ibid, Vol.6.P-451

90- Ibid, Vol.6.P-452

91- رحلات ماركوبولو، ج2، ص82.

92- Franke, H. and Denis. T, The Cambridge History of China, Vol.6.P-451.

93- Ibid, Vol.6.P-452

94- Ibid, Vol.6.P-453

95- جامع التواريخ، ج2، ق، ص277.

96- م.ن، ج2، ق1، ص271.

97- لا يعرف سبب تسميته بهذا الاسم كما لا يوجد في المصادر ما يعطي معنى لهذه التسمية.

98- رشيد الدين، جامع التواريخ، ج2، ق1، ص272.

الخـــــلاصـــــــــة

يعد إنتقال مركز حكم الامبراطورية المغولية الى الصين بدلاً من الوطن ألأصلى منغوليا في مستهل حكم قوبيلاي قاآن(658- 693ه/ 1260- 1294م) خامس أباطرة المغول العظام ، وتأسيس حكم إسرة (اليوان) بداية عصر جديد بالنسبة للمغول والبلاد التي كانت خاضعة لحكمهم ، وهو عصر يمثل انتقال مركز حكم المغول من البيئة الصحراوية التقليدية التي عاشوا فيها طوال تاريخهم الى بلاد تمثل أعرق مراكز الحضارة والتمدن المعروفة آنذاك .

وعلى الرغم من ان المغول كانت عندهم في البداية خشية شديدة من الاختلاط بأهل الصين وحضارتهم ، إلا أنهم سرعان ماغيروا موقفهم وانفتحوا على كل مايتعلق بهذه البلاد ، وقد دفعتهم الى ذلك أسباب عامة واخرى خاصة بشخص امبراطورهم الجديد ، فضلاً عن الأسباب التي تعود لبلاد الصين نفسها وقدرتها الفائقة على إحتواء كل الأقوام الغازية التي سبق وأن قامت بغزو هذه البلاد.

وكان من نتائج هذا الحدث المهم هو انه قد مثل البداية لتحول هؤلاء المغول الموصوفين بالبداوة والبربرية الى حياة الاستقرار والتمدن في الصين ، ومن ثم الاقبال على الأخذ من حضارة هذا البلد وتقاليده ، وفي نهاية المطاف كان لابد لهم من الاندماج في نظمه وقوانينه .

ومما لاشك فيه انه كان لهذا التحول الكبير تأثيراته الشاملة والعميقة لمختلف جوانب الحياة في حكم اسرة اليوان المغولية حيث تركت المؤثرات الحضارية الصينية أثرها الواضح على النظم السياسية والادارية لحكم المغول ، فضلاً عن الجوانب الاقتصادية والعلمية والقضائية وغيرها ، وقد أدى هذا الوضع الجديد بشكل تدريجي الى اندماج سلطة المغول التي تمثل القلة الغازية في المسار العام للحضارة الصينية ، مما غير من السمات والخصائص العامة التي عرفت بها الامبراطورية المغولية منذ عهد مؤسسها جنكيزخان.

Abstract

This research deals with the effects of Chinese civilization on the rule of the Mongol Yuan Dynasty, and the importance of this subject comes from the transition rule of the Mongol Empire center to China instead of the orginal homeland Mongolia, This transition was represents a new era for the Mongols differs in its spirit and general features from its predecessor.

The new era was meant transfer of the Mongol rule center from the environment desert where they lived all thier tives to new state that represent the oldest centers of civilization at that time, and this event resulted the merger of the mongols in China's civilization and tradition, and this has had its impact of general system of the Mongol Empire and all of its countries.

This research dealt with the most important reasons that led to the adoption of the mongols systems and cultural traditions of Chinese, and the most important manifestation of these effects in various aspects such as political and administrative systems, as well as to other aspects such as economic, scientific and building and justice system etc.